"الرسم الحر كوسيلة إسقاطية نفسية للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية"

إعـــداد:

د.غروب عوض الحربي
تخصص رسم وتصوير، معلمة تربية فنية
وزارة التربية والتعليم، دولة الكويت

"الرسم الحر كوسيلة إسقاطية نفسية للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية"

د.غروب عوض الحربي
تخصص رسم وتصوير، معلمة تربية فنية
وزارة التربية والتعليم، دولة الكويت

• **مستخلص البحث:**

إن مرحلة الطفولة من المراحل الهامة والأساسية المؤثرة في حياة الانسان، وهي ميداناً هاماً ومتسعاً يحمل في طياته مراحل عمرية مختلفة من نمو الانسان، وإن التعبير بالرسم الحر يعتبر بمثابة أداة للاتصال والتواصل مع الطفل فهو يسمح له بالحرية وعدم التقيد بأي قيد، ويفتح ميادين أوسع من المعنى مما يتاح عن طريق المنطق العادي والبحث اللفظي للكشف عما يجول بداخل الطفل من مكبوتات وخبايا، فهو يعبر عن انفعالاته ومشاعره وعواطفه المتدفقة في شكل مجموعة من الخطوط والدلالات النفسية، فالفن يعكس أسرار النفس الإنسانية، ويفضح مكنوناتها، ويكشف عن خباياها، كما إن تحرير الطاقة العميقة في نفس الطفل من خلال (الاسقاط النفسي) باستعمال الرسم الحر تعمل على تعزيز شخصية، وتخلصه من الخوف والقلق، وصولاً إلى تحقيق الاتزان الانفعالي. لذلك يعتبر الرسم الحر من أفضل الوسائل التي يمكن الاستعانة بها كوسيلة اسقاطية نفسية للطفل للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية ما بين (٦-١٢) عاما.

الكلمات المفتاحية: الرسم الحر، الاسقاط النفسي، مرحلة الطفولة.

Free drawing as a psychological projection method to reveal the child's inner repressions

Dr. Ghoroub Awad Al-Harbi

Abstract :

The childhood stage is one of the important and essential stages affecting human life, and it is an important and broad field that carries with it different stages of human development. Expression through free drawing is considered useful for communicating with the child, which is good for him with freedom and not being bound by any restrictions. The meaning is available through ordinary logic and verbal research to reveal what is going on inside the child of repressions and hidden things as it expresses his emotions, feelings and emotions flowing in the form of a group of lines and psychological connotations. Deep in the child's psyche through (psychological projection) using free drawing, it works to enhance personality, and rid him of fear and anxiety, leading to achieving emotional balance. Therefore, free drawing is considered one of the best means that can be used as a psychological projection method for the child to reveal the child's inner repressions between (6 - 12) years.

Key words: Free drawing - Psychological Projection- child's inner repressions

• **مقدمة:**

تعد مرحلة الطفولة ميداناً هاماً ومتسعاً يحمل في طياته مراحل عمرية مختلفة من نمو الانسان، ورسوم الأطفال ليست مجرد تخطيطات دون معنى، إنما هي ناتجه عن التفاعل مع البيئة الذي يمثل بالرسم، وهي تعبير ونفسي وجداني يحمل العفوية والبراءة، من خلال استخدام الخط واللون والأشكال الأخرى، والتي تتطور تدريجيا بتطور مراحل نمو الطفل الجسمية والعقلية ولتنتج أشكالاً أكثر تعبيرا من صورة الواقع المعاش، وقد أصبحت مرحلة الطفولة في وقتنا الحاضر موضع اهتمام العديد من الباحثين والتربويين والمفكرين لما لها من أهمية كمرحلة أساسية في بناء الإنسان، فكل الخبرات التي تقدم للأطفال أو تتصل بحياتهم تسهم في إعدادهم الإعداد السليم، حيث أن الطفل يمر بعدة مراحل من نمو متعاقبة، وهي تفاعل مستمر بينه وبين بيئته ومحيطه، فهو يستجيب لتلك المنبهات في تطور ونمو نفسي وعاطفي مستمر، لذلك تُعد الطفولة مرحلة أساسية في تكوين وبناء الشخصية الإنسانية نظرا لما تتصف به تلك المرحلة من السرعة في نمو مختلف الجوانب الجسمية والعقلية والوجدانية، فكانت مجالا خاصا للعديد من الدراسات والبحوث التي حاولت الكشف عن خصائصها وسماتها وعلاقتها بالمتغيرات المختلفة.

وإن التعبير بالرسم الحر يعتبر بمثابة أداة للاتصال والتواصل مع الطفل... للكشف عما يجول بداخله، فهو يعبر عن انفعالاته ومشاعره وعواطفه المتدفقة في شكل مجموعة من الخطوط التي تبدو عشوائية في البداية ثم لا تلبث أن تنتظم، فهم فنانون الفطرة وفنونهم تبدأ بالتلقائية وبالتدفق، وتتصف بالتلقائية هي حالة عقلية يكون فيها الطفل منسجماً مع نفسه ومع ما يقوم به من أعمال ونراه يلعب بالألوان ولا يدري سببا واضحا قد دفعه إليه بقدر ما هو يلبي نداء رغبة كامنة مكبوتة في أعماق نفسه. لذلك يجب إدراك أن النشاط التخطيطي للطفل هو أداة هامة للاتصال ومعرفة ما يختلج وجدان الطفل، والتي لا تعتمد على الواقعية الموضوعية البصرية، بل تنبع من الإحساس الداخلي الذاتي، "وتحقيق التواصل مع الطفل من خلال لغة بديلة يفصح من خلالها الطفل بأسمى التعبيرات البلاغية التي تنبع من أعماقه عبر لغة الرسم (الراعي، ٢٠١٦م، ص١٨).

وترى الباحثة أن المشكلة التي يعانيها تدريس الفن في المرحلة الابتدائية تتعلق بالإدراك الفني لطبيعة تعبير الطفل من سن (٦-١٢) سنة، وكذلك للأساليب التربوية الخاصة بتوجيهه في هذه الفترة، وما يلزم لذلك من أدوات وخامات، وكذلك المكان المناسب ليزاول فيه الطفل الرسم، وإذا فرضنا أن اكتملت هذه الوسائل فستظل هناك مشكلة كيف يعد المدرس خططه في هذه المرحلة، وكيف ينتقل من خطة إلى أخرى ومن درس إلى آخر، مراعيا التدرج في النمو مع تلاميذه، وميسرا لهم خبرات تتناسب مع أعمارهم.... لذلك يُعد الرسم الحر مجالا وأسلوبا يستخدم للتنفيس عمّا يعانيه الطفل من

ضغوط الحياة والمجتمع، وإن ما يتعرض إليه في حياته اليومية من إخفاقات وعدم اهتمام يؤثر في ذاته ويُشعره بعدم الثقة بالنفس، ولعل للجانب الفني دورا هاما في ذلك الموضوع، حيث يذكر أن "الفن يعكس أسرار النفس الإنسانية، ويفضح مكنوناتها، ويكشف عن خباياها، وأصبح من المسلمات أن الفن يجسد شخصية الانسان بكل مقوماتها: المستور منها والظاهر، اللاشعوري والشعوري، المبهم والواضح، الماضي والحاضر، ولذلك كان الفنانون وأعمالهم الفنية موضع دراسة علماء التحليل النفسي، حيث كشفوا من خلال هذا التحليل أبعادا جديدة، أضفت تفسيرات وايضاحات عن طبيعة شخصية الفنان، وأظهرت بعض المعالم الرئيسية التي كانت سببا في الطابع المميز الذي اكتسبته أعماله (بسيوني، ١٩٨٠م، ص١٨١).

ومن خلال الرسم الحر تتم عملية اتصال الطفل بالعالم الخارجي، ويستخدم كل ما لديه من وسائل وجهد ليُعبّر عما يدور في نفسه ومشاعره ورغباته، ويستطيع أن ينقل إلينا كثيرا من المعاني والانفعالات الداخلية، فالفرد إذا ما أتيح له التعبير عن موقف قد أثارت انتباهه أو أثّرت به، أخرج صورة صادقة عن أحاسيسه ومشاعره تجاه ما أثّر به ذلك الموقف، وترى الباحثة أن تحرير الطاقة العميقة في نفس الانسان من خلال (الاسقاط النفسي) تعمل على تعزيز شخصية الفرد، والتخلص من الخوف والقلق، والوصول إلى الاتزان الانفعالي.

• مشكلة البحث:

إن مرحلة الطفولة من المراحل العمرية الهامة التي يمر بها الإنسان، والتي يجب التعرض لها بالدراسة من أجل فهم سيكولوجية الأطفال ومراحل تطور نموهم وتفكيرهم، والكشف عما يجول بداخلهم من مكبوتات نفسية، وإنه من خلال استخدام أسلوب الرسم الحر كوسيلة اسقاطية نفسية يسهل الكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية، فهي أفضل وسيلة اتصال وتواصل ليُعبّر الطفل عن ما يدور في نفسه ومشاعره ورغباته، وقد لاحظت الباحثة ندرة تناول الأبحاث التي تناولت مفهوم الاسقاط الانفعالي كوسيلة للتعبير الفني، لذلك تسعى الباحثة لتوفير أداة مبتكرة في التعبير الفني تساعد المربين والمعلمين على الكشف عن مكامن الطالبات الداخلية من خلال فن الرسم، ويشمل مصطلح رسوم الأطفال في هذه الدراسة إلى أطفالا لا تتجاوز أعمارهم الثانية عشر في الأغلب، لأن رسوم الأطفال بعد تلك السن تتغير وتبتعد رويدا ورويدا عن الطفولية. وعلى ذلك يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الآتي:

- ما مدى فعالية استخدام الرسم الحر كوسيلة اسقاطية نفسية للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية؟
- هل يمكن أن تتضمن رسوم الأطفال الحرة دلالات ومعاني نفسية تعبر عما بداخل الطفل؟

- **أهداف البحث:**
  - التعريف بالرسم الحر كوسيلة اسقاطية نفسية للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية.
  - التعريف بالدلالات النفسية لرسوم الأطفال الحرة.
- **فرض البحث:**

تفترض الباحثة أنه:

  - يمكن استخدام الرسم الحر كوسيلة اسقاطية نفسية للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية.
  - يمكن إن تتضمن رسوم الأطفال الحرة دلالات ومعاني نفسية تعبر عما بداخل الطفل.
- **أهمية البحث:**

وتكمن أهمية البحث الحالي والحاجة اليه في النقاط الاتية:

  - تزويد المربين والمهتمين بالعملية التربوية بما يمكنهم من تشخيص الاطفال ذواي السلوك الانعزالي أو العدواني لغرض المعالجة.
  - تزويد النقاد والمهتمين بالفنون التشكيلية بما يعمّق فهمهم لخصائص ودلالات رسوم الأطفال.
  - يفيد البحث الدارسين من طلبة الدراسات العليا والمتخصصين في المجالات الجمالية والنقدية التي تعتني بدراسات فنون الأطفال.
- **حدود البحث:**
  - ينحصر اهتمام البحث في إبراز فعالية استخدام الاسقاط الانفعالي كوسيلة مبتكرة في التعبير الفني للأطفال بالفئة العمرية ما بين (٦ – ١٢) سنة من الذكور والإناث.
- **منهجية البحث:**

إن البحث في إطاره النظري يعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، كونه دراسة نظرية تحليلية تهدف للتعريف إبراز فعالية استخدام الاسقاط الانفعالي كوسيلة للكشف عن مكبوتات الطفل الداخلية، وذلك من خلال:

  - المحور الأول: مفهوم (الاسقاط النفسي).
  - المحور الثاني: (الرسم الحر والطفل).
  - المحور الثالث: (الرسم الحر كوسيلة اسقاطية نفسية للطفل).
- **مصطلحات البحث:**
  - مفهوم الاسقاط النفسي: "يستخدم المحللون النفسيون مصطلح الإسقاط ليصونوا به الطريقة التي يخرج بها الناس محتويات العالم الداخلي أو بنيته أو علاقاته. يمكننا أن نسقط حالات مزاجية، أو وجدانيات" (وارد، زاريت، ٢٠٠٥م، ص١٠١).

- رسوم الأطفال: "لغة تعبيرية عالمية يستطيعون مخاطبة الكبار بها دون تردد، ما أن تقع تحت يد الطفل بعض الأوراق إلا وتجده يفيض بانفعالاته مترجمة في مجموعة من الخطوط التي تبدو عشوائية في البداية ثم لا تلبث أن تنتظم في علاقات موجبة أحيانا ودائرية أحيانا أخرى، مشتبكة في بعض الأحوال ومنفصلة على هيئة رموز في أحوال غيرها" (البسيوني، ١٩٨٥م، ص١٩٢).
- وتعرّفها الباحثة الاسقاط النفسي إجرائياً من وجهة نظر البحث الحالي بأنه: تلك التخطيطات الحرة التي تتركها أو (تسقطها) الانفعالات الداخلية للطفل على سطح الورق، لتصوير مفردات أو موضوعات مُستمدة من الواقع المحيط به، والتي يمكن تحليلها وادراكها نفسيا.

• الدراسات المرتبطة:

دراسة بعنوان: التعبير الفني بالرسم وسيلة إسقاطية تشخيصية وعلاجية:

تتناول الدراسة أهمية التعبير الفني كوسيلة غير لفظية للكشف عن مخاوفه وما يعانيه، ودور الفن من شعر ورسم وموسيقى .... في التخلص من ضغوط الحياة، وتتعرض الدراسة للمنحنى التحليلي والتعبير الفني، وكذلك للإسقاط في التحليل الفني، والاسقاط وعلاقته بالذات والكبت، وخصائص الأساليب الإسقاطية واختبارتها. (حجاب: ٢٠١٢م).

• المحور الأول: مفهوم [الإسقاط النفسي]:

ذكر علماء النفس أنواعا متعددة لمفهوم الإسقاط النفسي والتي تحمل عدة مظاهر مختلفة، يقوم بها الفرد في عدد من الظروف والمواقف، "وترى مدرسة التحليل النفسي أن الاسقاط عملية دفاعية عن الذات بشكل شعوري أو لا شعوري" (عبد الله بن محمد المفلح، ٢٠١٨م، ص١٣٤). ويعتبر الاسقاط هو إحدى الآليات الأكثر أولوية لدى الانسان، فعندما نقدم إلى طفل رسوما كي ينجزها، أو أشياء كي يعيد ترتيبها بحسب إلهامه ووفق مخيلته، أو جملا علية اكمالها،.....إلخ، أو نطلب منه تفسير رسوما تمثل أوضاعا إنسانية يمكن التعبير عنها بأساليب متنوعة...الخ، فكل شخص يتصرف إذن على طريقته ويسقط عواطفه، وانفعالاته الخاصة، ومشكلاته، وأفراحه، في تحقيق الإنجاز المطلوب، "والعمل الفني من جهة أخرى، (إسقاط) روح الفنان العميقة (بيير داكو، ١٩٨٦م، ص٢٠٩). ويرى (لندزي) تصنيف الطرق الإسقاطية تبعا لنمط الاستجابة المطلوبة من المفحوص إلى خمسة أنواع وهي:

- "طرق التداعي: والمنبه فيها كلمة أو جملة أو بقعة حبر، يستجيب لها المفحوص بكلمة أو عبارة أو مدرك.

- طرق التكوين: وتنتج الاستجابة في هذا النوع من نشاط معرفي بنائي إنشائي معقد كأن يكون المفحوص قصة اعتمادا على صورة اختبار تفهم الموضوع.
- طرق التكملة: يعطي المفحوص منها ناقصاً غير مكتمل (جملة، قصة)، وطلب منه تكملته كاختبار (ساكس) لتكملة الجمل.
- طرق الاختيار أو الترتيب: يقدم الفحوص عدد من المنبهات كالصور أو الجمل ويطلب منه إعادة ترتيبها أو يحدد تفضيلاته لها.
- الطرق التعبيرية: مثل اختبارات الرسم بالخطوط أو بالألوان وطرق اللعب والسيكودراما. (متولي، الدلبحي، ٢٠١٧م، ص١٢٢-١٢٣). وهي موضوع اهتمام البحث الحالي والمتمثلة بالرسم الحر.

• المحور الثاني: [الرسم الحر والطفل]:

إن الطفل يعد اللبنة الأولى في هذا المجتمع وعليه يجب مراعاة أنشطته والاهتمام به وبأشكاله والمرسومة المعبرة عن مكنوناته الداخلية، وقد أكدت الكثير من الدراسات في كون رسوم الأطفال تكون معبرة وبعفوية وتلقائية، إذ ان لكل طفل استعدادا فطريا للإبداع الفني يختلف من طفل لآخر تبعا لإمكانياته الفنية وتطوره في النمو، لذلك حظيت العديد من رسوم الاطفال باهتمام ودراسة العديد من المحللين النفسيين والباحثين في ميدان علم النفس، وذلك للوقوف على الدلالات التي من شأنها أن تشير إلى العلاقة بين تلك الرسوم والوضع النفسي لمنفذيها، وذلك لأن تلك التعبيرات الفنية تمنحهم التعبير عما يدور بأعماقهم من أفكارهم ومشاعرهم وتكسبهم اتزانا مع البيئة المحيطة بهم، حيث طالما نجح الفن في تشخيص الكثير من الحالات النفسية للإنسان، كونها "تعد اساليبا إسقاطيه تكشف عن تركيب شخصية الفرد ومشاعره، وذلك لقدرتها على التعبير عما لا يمكن التعبير عنه لفظيا كمشاعر الفرد واتجاهاته (صالح، ١٩٨٨م، ص١٨٣).

ويمكن حصر أهمية الرسم الحر للطفل في أنه يحقق:

- هدف علاجي: هو وسيلة علاجية فعاله لتحقيق الاستشفاء للأطفال، حيث أن الهروب إلى عوالم متخيلة يساعدهم على الخروج من حالات الاكتئاب، حيث أنه كلما أتحنا لأطفالنا مجالا للرسم الحر "ساعدناهم على السيطرة على كوابيسهم وتأكيد أحلامهم على نحو ملموس لأن اللغة وسيلة يعجز الطفل الصغير بواسطتها عن إيصال ما قد يتمكن من قوله برسم ما دفعة وأحدة أحيانا. ونساعدهم بذلك على النمو النفسي المتوازن من خلال التعبير المستمر عن النفس بدلا من مراكمة المكبوتات (عصفور، ٢٠١٣م، ص٢٣٧). "ويمكننا أن نمتد بالمنطق نفسه الذي قامت على أساسه الاختبارات الاسقاطية، لنستكشف إمكانات اختبارات الرسم في

الكشف عن خصائص الشخصية، وحدود هذه الاختبارات كأدوات تشخيصية اكلينيكية (فرج، ١٩٩٢م، ص١٦).

- حيث إنه من خلال الرسم الحر يمكن مساعدة الطفل على تكوين شخصية سليمة، وتعمل على تحقيق توازنا مع البيئة التي ينتمون إليها، وهذا ما يُكسبهم الصحة النفسية، وتحقيق الاتزان الانفعالي، والمتمثل في القدرة الفعالة على تنظيم النشاطات المختلفة، النفسية، والسلوكية، والانفعالية، وإن بلوغ الاتزان والاستقرار في التعامل مع الآخرين، يتحقق من خلال تكوين رؤية موضوعية لذاته والشعور بالراحة في المواقف المختلفة، لذلك يعتبر الفن وسيلة للتسلية وللترويح عن النفس من وطأة العمل وخصوصا بعد أن تدخل تقسيم العمل الفني في كل نواحي حياتنا الاقتصادية وأصبح التخصص الضيق أساسا للإنتاج الكبير (أبو ريان، ١٩٧٤م، ص١٨٦).
- وسيلة اتصال: يعتبر الرسم الحر وسيلة اتصال هامة يحاول الطفل من خلالها تجسيد أفكاره وتصوراته ومعبر بها عن الأشياء المعقدة التي يصعب عليهم تسميتها، ويعبر عن مشاعره الخاصة للتأثير بالآخرين. لذلك يجب "إدراك أن النشاط التخطيطي للطفل هو أداة متخصصة للاتصال، لها خصائص وقوانين خاصة بها، وهذا النشاط ليس محددا فقط بقوانين الواقعية الموضوعية البصرية، بل بضغط الشعور أو الإحساس الداخلي الذاتي، ومنذ البداية الأولى تكون رسوم الأطفال برمتها تلقائية، وهي لا تتغير إلا لأن ثمة اتجاها طبيعيا يفرض تدريجيا على الأطفال بضرورة مواجهة العالم الخارجي، أي في ضوء الحاجة التي يمرون بخبرتها والمتعلقة بتحويل عالمهم المدرك حسيا إلى عالم موضوعي، يتسنى لهم قياسه وتقديره والتعامل معه" (ريد: ١٩٧٥م، ص٢٤٠).
- وسيلة تربوية: يعد الرسم الحر وسيلة تربوية تساعد على النمو العقلي والنفسي للطفل، وله قدرة على مخاطبة تفكير الطفل وأحاسيسه لتنمية شخصيته وصفاته والتي تبدو واضحة في علاقته مع الآخرين، وهكذا فان الرسم عند الأطفال يعد وسيلة تربوية تساعدهم على النمو العقلي والنفسي وخلق حالة من الاتزان العاطفي لديهم، فكل طفل له طريقة خاصة في التعبير عما في داخله تختلف من طفل لآخر تبعا لإمكانية الطفل في تنمية تفكيره الفني محاولا تقليد ما يراه بصورة قريبة من الواقع بطريقة تنسجم مع تطور نموه العقلي. حيث يذكر أنه "يستمر الأطفال مع دخول المرحلة الابتدائية بالرسم التلقائي، وتزداد قدرتهم على رسم الأشكال المختلفة، فترى الورود والأشجار ونماذج بشرية لطيفة والعديد من الأشكال الحيوانية، وتتميز الرسوم في هذه المرحلة بالجمال أيضا، إذ تعكس حيوية الطفل الداخلية، لأنها المرحلة التي تبدأ علاقة

الطفل بالأطفال الأخرين في المدرسة بالتأثير فيه كثيراً ويصبح تفكرية أقل تمحورا حول الذات "(عصفور، ٢٠١٣م، ص١١٠).

- القابلية للتحليل: يذكر أن "رسوم الأطفال شكل من أشكال الأداء النفسي له خصائص متعددة، سواء في المجال المعرفي (العقلي)، أو المجال المزاجي (الوجداني) وهي تقبل التناول والتحليل والتقنين بأساليبنا العلمية، فحصا وتقديرا وقياسا للخروج منها باستنباطات متعددة نهدف من ورائها إلى تحسين فهمنا لسلوك الطفل وصياغة القوانين النفسية التي تحكم ارتقاءه" (فرج، ١٩٩٢م، ص٢). "فالرسوم من الوجهة التحليلية تعد بمثابة رسالة موجهة إلى الآخرين، تصور أعماق شخصيات أصحابها أصدق تصوير، كما تعتبر الأشكال المرسومة ذات دلالات سيكولوجية معينة، لها علاقة وثيقة بالجانب اللاشعوري الخفي في شخصية الفرد، وما يعانيه من مشكلات وصعوبات"(حجاب، ٢٠١٢م، ١٥٠-١٥١).

• المحور الثالث: [الرسم الحر كوسيلة إسقاطية نفسية للطفل]:

إن الطفل بحاجة إلى تجديد لونه النفسي وبعث النشاط في حياته، ولا يتحقق ذلك إلا بالفن، ويمكن فهم وظيفة الفن على أنه يعتبر نوع من التنفيس عن النفس البشرية، أو التخلص من المشاعر المكبوتة أو العليلة داخل النفس البشرية، وان الرسم الحر يفتح ميادين أوسع من المعنى مما يتاح عن طريق المنطق العادي والبحث اللفظي، فنرى ان الطفل يميل للرسم اكثر بفطرته، لأن الرسم يجعله يعبر عما بداخلة، لعجز لغته اللفظية عن هذا التعبير بطلاقة وحرية، وان تعبيرات الاطفال هي صورة تعكس ما في نفوسهم من مكبوتات، ويذكر أن "الرسم ليس مجرد خطوط تجريدية على الورق، وبخاصة بالنسبة للطفل الصغير، الذي ليس لديه عقلية البالغ فحسب، فالرسم قصة، (حدوته) من خلاله يمكن أن نقرأ سيلا من المعرفة لتفاعل الطفل مع الحياة"(البسيوني، ١٩٨٣م، ص٩٠)، ومن هنا نجد أن رسوم الأطفال تعد نشاطا اجتماعيا وهذا يضفي عليها صفة الفن، وذلك لان الفن ينشأ لكي يعبر عن شيء معين يرغب بإيصاله للآخرين.

ولذلك يذكر أنه "تعد الرسوم الحرة للأطفال أكثر المجالات إتاحة للتعبير عن خصائصهم النفسية، سواء قدراتهم أو سماتهم الشخصية وقيمهم، ويكفي أن نجلس إلى طفل (يحكي) لنا قصة رسمه وما تفعله شخصياته ليتبين أنه ينقل عالمة كله إلى الورقة، ويستخدم قلمه ليتجاوز به كل الحدود الممكنة وغير الممكنة، يعبر من خلال رسومه عن سعادته وحزنه، عن ما يعانيه من عجز وما يشعر به من تفوق، وقبل ذلك عما يملكه من قدرات ومهارات، لا في القدرة والمهارة الفنية في الرسم، ولكن في القدرة على إدراك المفاهيم العقلية الأساسية، وتكوين المفاهيم الجديدة للتعبير عن موضوعه"(فرج، ١٩٩٢م، ص١).

يرى العديد من علماء النفس أن طريقة وأسلوب الطفل في تنفيذ رسومه تُعد بمثابة مرآة عاكسة لسلوكه وطريقة حياته، ومن خلال رسومه نستطيع تحليل شخصيّته ودراستها ومعرفة مواطن الضعف والقوة في الشخصية، ولهذا اعتُمد على الرسم في الكثير من الاختبارات، وكذلك استخدمت الرسوم في الطب النفسي لتشخيص حالات مرضية عديدة، وهي تعني العملية النفسية التي يحوّل بها الطفل تلك المشاهد الدفينة في اللاشعور إلى موضوعات خارجية باستخدام الرسم الحر، حيث يذكر "ان الرسم الحر للطفل يسمح له بعدم التقيد بأي قيد، والواقع أن رسوم الأطفال عبارة عن نشاط معقد لا يعكس فقط ارتقاء مفاهيم الطفل، ولكنه يتضمن الكثير من الجوانب الانفعالية والمزاجية" (فرج، ١٩٩٢م، ص١٦). إذ يتم ترك الأشخاص يعبّرون عن خواطرهم وخيالهم ومشاكلهم ومعاناتهم عن طريق الرسم، لذلك أصبح الرسم الحر من أفضل الوسائل الناجحة في أيدي المربين والمعلمين في وقتنا الحاضر، وإنّ ما نُعلّمه للأطفال ما هو إلا وسائل للتعبير عن الذات، والتي تعتمد على استخدام الخطوط والألوان .....الخ.

ويعتبر الرسم الحر من أفضل الوسائل التي يمكن الاستعانة بها كوسيلةٍ اسقاطية نفسية للطفل ما بين (٦-١٢) عاما، حيث تعد اختبارات الرسوم أدواتا مناسبة لقياس جوانب متعددة من سلوك الأطفال، فهي من ناحية تتجاوز عائق اللغة اللفظية، وأسلوبها فني سهل للأطفال ويمكننا أن نستخلص منها دلالات متنوعة دون ادراك الطفل، كما وتتميز بكونها تتخطى أيضا الفروق الفردية في طلاقة التعبير بين طفل وآخر، وهي تتخطى فوق كل ذلك صعوبات موقف الاختبار المقنن الذي قد يربك الطفل ويجعله شخصا آخر غير نفسه، مضطرب، أو خائف، أو قلق...أما موقف الرسم الحر فيجعل الطفل مستغرقا في تلقائية شديدة وحرية مع خياله وخطوطه وشخوصه الخاصة به والتي تنم عن مشاعره، وتعكس الكثير من قدراته العقلية وأسلوب فهمه وإدراكه للواقع.

إن التعبير باستخدام الرسم الحر هو أداة اتصال للكشف عما بداخل الأطفال من مشاعر، فمن خلاله يستطيع الطفل أن يتواصل مع المجتمع المحيط به، ويخرج ما بأعماق الذات المكبوتة بصورة رسم حر، حيث إن الفن يسكن وجدان الطفل أكثر من عقله، وذلك لأنه "يتدفق فن الأطفال مباشرة من القلب واللاوعي إلى الورق، وإن الكم الأكبر من الدراسات التي تتناوله تصدمنا بمحاولاتها للحفر تحته لإيجاد مداخل لتشخيص الحالة النفسية للأطفال بدلا من أن تتذوق رسومهم بصفتها نتاجا فنيا يستحق التأمل"(عصفور، ٢٠١٣م، ص٢٣٧).. ولذلك فإن تلقيه يكون تلقيا إسقاطيا، أي أن الفرد يتلقاه تلقيا تفاعليا، فيضيف ويحذف ويكبر ويصغر العناصر تبعا لما

ينعكس بداخلة من مشاعر وأحاسيس مكبوتة، "وعلاقة غموض النص ورمزيته مع حجم الإسقاط وتأثيره علاقة تفاعلية، فكلما كان النص غامضا أو رمزيا ازداد حدوث الاسقاط، وبالتالي حضور الشخص المسقط في تلقي النص والتأثر به"(المفلح، ٢٠١٨م، ص١٦٥).

ويذكر أنه "تستمد الأساليب الإسقاطية منطقها السيكولوجي من التحليل النفسي، حيث يقوم الاسقاط بوصفة آلية دفاعية لا شعورية، بتمكين الشخص من استغلال المنبهات الغامضة، والتي يحتمل عدم وضوحها عزول الكثير من المعاني والدلالات لها، فيسقط عليها عدوانيته، وينسب إليها مشاعره الدفينة أو الغير مقبولة من المجتمع"(فرج، ١٩٩٢م، ص١٦). ويسمح هذا المنطق افتراض أن رسوم الأطفال تتضمن هذه الإمكانية وتتيح الفرصة للطفل لهذه الاسقاطات اللاشعورية، فالطفل هنا مقيد بمنبه يتضمن إلى حد ما قدرا من الخصائص لا يسهل الخروج عنها، والتي من خلال الرسم الحر يسمح له بخروجها دون التقيد بأي قيد، وتعتبر رسوم الأطفال نشاط معقد لا يعكس فقط ارتقاء مفاهيم الطفل، ولكنه يتضمن الكثير من الجوانب الانفعالية والمزاجية المكبوتة، لذلك تسعى الباحثة لتوفير أداة مبتكرة في التعبير الفني تساعد المربين والمعلمين على الكشف عن مكامن الطفل الداخلية من خلال فن الرسم، لذا يبقى السؤال الآتي وهي المشكلة التي يسعى البحث الحالي إلى معالجتها. فرسوم الاطفال كونها نتاجا لأحد انواع الفنون فهي" تعد أساليبا اسقاطية تكشف عن تركيب شخصية الفرد ومشاعره، وذلك لقدرتها على التعبير عما لا يمكن التعبير عنه لفظيا كمشاعر الفرد واتجاهاته "(صالح، ١٩٨٨، ص١٨٣). ومن أهم تلك الدلالات:

- دلالات الخط: إن قوة الخط ترتبط بمستوى الطاقة لدى الطفل فالذي ترتفع عنده قوة الدافع والطموح يميل للرسم بخطوط ثقيلة، وعلى العكس حين تنخفض عنده قوة الدافع يميل للخطوط الخفيفة، والطفل الغير متزن نرى خطوطه متأرجحة بين الخفيفة والثقيلة. كما أن الخطوط التي تتميز بالدقة في الأداء والتحديد والضبط في الحركة المستقيمة أو المنحنية، فإنها دليل على التوافق النفسي السوي للطفل والاستقرار النفسي، بينما الخطوط التي يظهر فيها خلل في الضبط الحركي تدل على توافق غير سوي أو اضطراري في الجهاز العصبي المركزي للطفل، ويدل الخط الصلب المستقيم على الصلابة الداخلية، في حين يمثل الخط المنحني عادة علامة طيبة على الرغم من دلالته على كراهية المألوف، أو كليهما معا. أما الذين يرسمون بخطوط متقطعة فذلك يدل على قلة في التركيز والحاجة إلى الدقة المتناهية، ويدل الاستمرار عليها على حالات القلق وعدم الشعور بالأمن.

- دلالات حجم الرسوم: يميل الاطفال برسومهم غالبا إلى المبالغة في حجم الوحدات، الا انه لوحظ بان الاطفال الذين يرسمون الوحدات بمبالغة مفرطة وبحجم كبير (أكبر من المألوف) فذلك يدل على الشعور بالنقص، وتعبيرهم بهذا الشكل ناتج اما عن نزعات عدوانية، او يعبر عن الحاجة للتفخيم والمبالغة. في حين ظهر بأن منفذي الرسوم ذات الوحدات الصغيرة يدل على شعورهم بالنقص وفقدان الشعور بالأمن والفاعلية، وينتابهم التردد في المواقف ويعجزون عن التعبير عن مشاعرهم، لذا فهم يميلون إلى الانقباض والكآبة (صالح، ١٩٨٨م، ص١٩١-١٩٢).
- دلالات المكان: يعد خط الارض (القاعدة) الأرضية التي يبنى عليها الوحدات، وهو يمثل(الواقع) لذا فالاقتراب منه يشكل اقترابا من الواقع، بينما كلما زاد الابتعاد عنه زاد الاقتراب من الخيال (صالح،١٩٨٨م، ص١٩٣). فمثلا إن الأطفال الذين يرسمون أعلى الورقة، ويبتعدون كأنهم يحاولون ايصال فكرة أن ما يريدون الوصول إليه صعب المنال، فهم أقل ثقة بأنفسهم، ويترددون في اقامة علاقات اجتماعية، وإن الاطفال الذين يرسمون في أسفل الصفحة ينم عن شعورهم بانعدام الامن وتدني مستوى تقدير الذات. أما الاطفال الذين يرسمون وحداتهم في الجزء الأيمن من الصفحة، فغالبا ما يعبر هؤلاء عن اتزان الشخصية، ولديهم تطلع أكثر للاهتمام بمستقبلهم وسلوكهم محكوم بمبدأ الواقع، بينما توحي وحدات الرسم المجسدة في الجزء أيسر الورقة عن سيطرة احداث من الماضي في الطفل، وتنشط عنده دوافع لإشباع الحاجات.
- دلالات اللون: إن للألوان عدة دلالات متنوعة عند الأطفال، فمثلاً الذين يشعرون بالحيرة والقلق في اختيارهم للون المناسب غالبا ما ينم ذلك عن احتمال وجود اضطرابات في شخصيتهم، فكلما كان اختيار الطفل للون المطلوب أبطأ وأصعب دليل على الشعور بالقلق والتردد، وتتسم خطوط التلوين بأنها ضعيفة وباهتة، وغالبا ما يختارون بين (الأسود، البني، الأزرق)، ويبتعدون عن اختيار الألوان (الأحمر، الأصفر، البرتقالي). كما يدل استخدام الطفل للخطوط اللونية بجرأة وثقة على المجالات الانفعالية التي تمثلها الألوان، في حين يعبر استخدام الالوان بعنف وغير تناسق عن التوتر والصراع الداخلي عند الطفل. لذلك يمكن القول إن استخدام اللون ينطوي على جانبين هما، طريقة التعبير باستخدام اللون، ومقداره، فالطفل الذي يقوم بتظليل مقدمة الرسم وارضيته بكثرة فذلك يدل على وجود قدر كبير من القلق والتوتر، وفي حين تبين ان الطفل الذي يضفي قلة في الالوان المستخدمة من حيث العدد عن المألوف فهو يعبر بذلك عن امتناعه عن تكوين علاقات وثيقة بالآخرين، اما إذا كان الطفل يميل لاستخدام زيادة في عدد الالوان عن المألوف فيدل ذلك على عدم قدرته على ضبط حوافزه الانفعالية.

• النتائج والتوصيات:

• أولاً: النتائج:

- إن الرسم الحر وسيلة اسقاطية نفسية هامة للكشف عن مكبوتات الطفل ومشاعره الداخلية.
- إن هذه الرسوم الحرة تمنح الأطفال فرصاً للتعبير عن كثير من أفكارهم ومشاعرهم وتكسبهم اتزانا مع البيئة.
- نجح الفن في تشخيص الكثير من الحالات النفسية للإنسان وخاصة لدى الاطفال.
- تعد الأساليب الاسقاطية وسائل تواصل هامة تكشف لنا عن تركيب شخصية الطفل ومشاعره، وذلك لقدرتها على التعبير عما لا يمكن التعبير عنه لفظيا كمشاعر الفرد واتجاهاته.
- إن لرسوم الأطفال دلالات نفسية متنوعة يمكننا إدراكها وتفسيرها وتحليلها بأسلوب علمي.
- الرسم الحر وسيلة علاجية فعاله لتحقيق الاستشفاء للأطفال، حيث أن الهروب إلى عوالم متخيلة يساعدهم على الخروج من حالات الاكتئاب.

• ثانياً التوصيات:

- توصي الباحثة بضرورة عمل برامج علاجية للأطفال تعتمد على استخدام الرسم الحر كأسلوب اسقاطي نفسي.
- العمل على الاهتمام برسوم الأطفال لما لها من دور هام وضروري في الكشف عما يدور في داخل الطفل من مكبوتات دفينة.
- الاهتمام بتدريب معلمين الفنون في المدارس على فهم وإدراك الدلالات النفسية لرسوم الأطفال.
- ضرورة التعاون المشترك بين برامج الفنون وبرامج العلاج النفسي في المدارس للتعرف على المشاكل النفسية التي تواجه الأطفال.

• مصادر البحث:

١. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي (٢٠٠٣م) الابتكار وتنميته لدى أطفالنا، مطبعة دار الكتاب، مصر.

٢. إيفان وارد، اوسكار زاريت (٢٠٠٥م) التحليل النفسي، ترجمة جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة.

٣. بيبرداكو (١٩٨٦م) انتصارات التحليل النفسي، ترجمة وجيه أسعد، الشركة المتحدة للتوزيع، ط٢، مطبعة الرسالة، سوريا.

٤. رين الراعي (٢٠١٦م) هل تقدر ما يرسمه طفلك؟ مجلة خطوة، المجلس العربي للطفولة والتنمية، العدد٢٩.

٥. سوسن عصفور (٢٠١٣م) فن الرسم عند الأطفال- جمالياته ومراحل تطوره، ط١، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر.

٦. صفوت فرج (١٩٩٢م) الذكاء ورسوم الأطفال، دار الثقافة، مصر.
٧. عبد الله بن محمد المفلح (٢٠١٨م) التفكير واللغة والتفاعل النفسي، مركز الكتاب الأكاديمي.
٨. عنايات أحمد حجاب (٢٠١٢م) التعبير الفني بالرسم وسيلة إسقاطيه تشخيصية وعلاجية، مجلة الطفولة والتنمية، المجلس العربي للطفولة والتنمية، المجلد ٥، العدد١٩.
٩. فكري لطيف متولي، خالد غازي الدلبحي (٢٠١٧م) دراسة الحالة لذوي الاحتياجات الخاصة، دار الشروق، الاردن.
١٠. قاسم حسين صالح (١٩٨٨م) الشخصية بين التنظير والقياس، مطبعة التعليم العالي، بغداد.
١١. محمد علي أبو ريان (١٩٧٤م) فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة، دار المعارف، مصر، ط٤.
١٢. محمود البسيوني (١٩٨٣) الرسم في المدرسة الابتدائية، دار المعارف، مصر.
١٣. محمود البسيوني (١٩٨٥م) قضايا التربية الفنية، عالم الكتب، القاهرة.
١٤. محمود بسيوني (١٩٨٠م) أسرار الفن التشكيلي، عالم الكتاب، مصر، ط١.
١٥. هربرت ريد (١٩٧٥م) تربية الذوق الفني، ت: يوسف ميخائيل اسعد.